مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 2 (رت 76) السنة: 2024

قصة "مثل ابن آوى والأسد والحمار" مقاربة سميائية

The Story 'The Jackal, the Lion and the Donckey' : A Semiotic Study

حنان شرفي[1]
مخبر المتخيل النقدي المعاصر، جامعة عباس لغرور خنشلة
chorfi.hanane@univ-khenchela.dz
رشيد بلعيفة
مخبر المتخيل النقدي المعاصر، جامعة عباس لغرور خنشلة
rachid.belaifa@univ-khenchela.dz

تاريخ الوصول 2022/12/20 القبول 2024/01/06 النشر على الخط 2024/03/15
Received 20/12/2022 Accepted 06/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

تمكّن **غريماس** (Greimas) من إعادة قراءة مشروع **فلاديمير بروب** (Vladimir Propp) من منطلقات قواعد البحث السيميائي. ونجح في صياغته صياغة جديدة من خلال قضايا مرتبطة بتعريف الوظيفة ومستويات تنظيم السردية والرسم السردي. وقد حاولنا في ورقتنا البحثية تطبيق نظرية السيمياء السردية والدلالية على نص "مثل ابن أوى والأسد والحمار" من كتاب كليلة ودمنة انطلاقا من مستويات التحليل السيميائي للبنية السردية الخطابية والدلالية مع مراعاتنا لنظام تقطيع النص المختار إلى مقاطع، وبغية تحكم أكبر بموضوع القصة اجتهدنا في دمج بعض ما جاء به **بروب** وذلك من خلال تقسيمنا المقاطع إلى مشاهد.

الكلمات المفتاحية: التحليل السيميائي؛ المستوى السطحي؛ المستوى العميق، المربع السيميائي.

Abstract:

The semiologist Julien Grimas created a new reading of the the theory of Vladimire Propp that covers the different rules of the semiotic research. He succeeded in reformulating it through various criteria related to defining the function and the levels of organizing the narratives. In the current research paper , we tackled the story of ' The Jackal, the Lion and the Donckey' from the book Kalila wa Dimna written by Ibn Elmogafaa as a case study to apply the theory of semiotic narration. Based on the different levels of the semiotic analysis (narrative structure, discourse structure and metaphorical structure) and tacking into account of the system of dividing the text into sections, we tried to apply some of the findings of Propp through dividing the sections into scenes

Keywords: Semiotic Analysis, The surface level; The deep structure ; Semiotic square.

[1] المؤلف المراسل : حنان شرفي البريد الالكتروني: **hanane.chorfi@univ-khenchela.dz**

1. مقدمة:

لقد استمدت السيميائية السردية عند **غريماس** (A.J.Greimas) بعض مفاهيمها من اللسانيات والأنثروبولوجيا **لكلود ليفي ستروش** (C.L.Strauss) ومن الشكلانية الروسية **فلاديمير بروب** (Vladimir Propp) ونظرية العوامل (**تنيير**) (Tesniere) وغيرها.

تبقى الدراسة التي قدمها **فلاديمير بروب** الملهم الأكبر لمدرسة باريس السيميائية وذلك من خلال مؤلفه "مورفولوجية الحكاية العجيبة"، حيث درس مائة حكاية شعبية روسية وأقر أن عدد الوظائف التي تتحكم فيها تبلغ إحدى وثلاثين وظيفة؛ والوظيفة عنده هي: "فعل الشخصية المحدد من حيث دلالته في تطور الحبكة".[1] واعتبر **بروب** أن القصة مجرد وظائف تظهر وتختفي حسب خصوصية النص.

استغل **تنيير** مصطلح الوظيفة وحوله إلى عامل؛ وهو القائم بالفعل (أشياء، مجردات، كائنات مؤنسنة ومشيئة معا)، ليتسم بذلك تعريف **تنيير** للوظيفة بالاتساع والشمولية، ومع مجيء **غريماس** شهدت نظرية العامل عدولا وإصلاحا واضحا، حيث رأى أن **بروب** لم يقدم تعريف نظريا محددا للوظيفة، وهذا من شأنه أن يدخل الدارس في حيرة.[2]

كما تمكن **غريماس** من تقليص العوامل بشكل مؤسس واحتفظ بستة عوامل رآها تنظم العوالم والأفكار والقيم، وضبط مسألة اشتغالها؛ فذاتا واحدة بإمكانها أن تسهم في عدة عوامل أو تسند لها وظائف مختلفة، وأن تؤدي أدوارا مختلفة، ويمكن أيضا أن تشترك عدة ذوات في دور واحد.[3] والعامل عند **غريماس** "قد يكون فرديا أو جماعيا، كما يمكن أن يكون مجردا، مشيئا أو مؤنسنا بحسب تموضعه في المسار السردي".[4]

إن التحليل السيميائي يقوم بمقاربة النص مقاربة شكلانية صرفية، أي أنه يدرس ما هو ثابت ويقصي ما هو ثانوي ومتغير، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق "مبدأ المحايثة" التي تقتصر على دراسة الشروط الداخلية المنتجة للمعنى في النص، دون إقامة أي اعتبار للشروط الخارجية أو للعناصر الخارجية، لأن المعنى من وجهة نظرهم ما هو إلا "نتيجة مستخلصة بواسطة لعبة العلاقات بين العناصر الدالة".[5]

وقد عمد السيميائيون إلى تقسيم النص عبر مستويين:

أ- المستوى السطحي La structure de surface:

يخضع فيه السرد بكل تمظهراته لمقتضيات المواد اللغوية الحاملة له، بمعنى مجموعة العناصر التي تدرك من خلال التشخيص ذاته في هذا المستوى بالنظر إلى النص السردي في تجلياته الخطية المباشرة،[6] ويشتمل على تركيبتين:

1- التركيبة السردية: ويتركّز الاهتمام بدراسة وتتبّع سلسلة الحالات والتحولات، ويتم الاعتماد في هذا المستوى على:

1- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2000، ص30.

2- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1994، ص29.

3- ينظر سعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي –دراسة سيميائية "غدا يوم جديد لبن هدوقة"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000، ص14.

4- المرجع نفسه، ص16.

5- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميانية الخطابية، تر جمال الحضري، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2007، ص55.

6- رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: خليل أحمد خليل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984، ص79.

* المكون السردي Composante narrative:

الذي ينظم تتابع حالات الشخصيات وتحولاتها، والتركيز على الأدوار التي تؤديها الشخصيات في إجراء هذا التحول عبر مسار ينطلق من الحالة الابتدائية وصولا إلى الحالة النهائية.[1]

* المكون الخطابي Composante discursive:

يتحكم هذا المكون في تسلسل الصور وآثار المعنى، ويسعى إلى إعطاء شكل محدد لانتشار الوضعيات والأحداث والحالات والتحولات في الخطاب، والنص فيه عبرة عن متتالية من الحالات والتحولات.[2]

ب- المستوى العميق La structure profonde:

وننتقل في هذه البنية من التنظيم الذي يتحكّم في هذه التحولات والاختلافات إلى المنطق العميق الذي يحكم الدورة الدلالية؛ أي "يتحدد داخل هذا المستوى نمط الكينونة... كما يتحدد داخله شروط وجود الموضوعات السيميائية".[3]

ولتقريب هذه المفاهيم النظرية، آثرنا التطبيق على قصة "مثل الأسد وابن آوى والحمار" وهي قصة من الموروث من كتاب "كليلة ودمنة" **لابن المقفع**، وسنعمد على تقطيعها إلى مقاطع ومشاهد.

المقطع الأول: يتكون المقطع الأول من القصة من الموقف الافتتاحي الذي نجد فيه وصفا للمكان، و**للمشهد الأول** من القصة المتمثل في: "زعموا أن أسدا كان في أجمة ومعه ابن آوى يأكل من فضول صيده".[4] تتصف هذه المرحلة عادة بالاتزان والهدوء والطمأنينة.

المشهد الثاني: يبنى على ثلاثة وظائف:

1- **حالة الافتقار**: تتمثل فيما أصاب الأسد من عجز ومرض جعله يفتقر إلى الطعام والدواء (الصحة).

"فأصاب الأسد جرب شديد حتى ضعف فلم يستطع الصيد، فقال له ابن آوى: ما شأنك يا سيد السباع؟ قد تغيّر حالك وقلّ صيدك، فأنى ذلك؟ فقال الأسد: ذاك لهذا الجرب... وليس دوائي إلا أن أصيب أذني حمار وقلبه".[5]

2- **السعي من أجل سد حالة النقص (الافتقار)**: وتمثل مرحلة التحوّل.

تبدأ بـ: "فقال ابن آوى : قد عرفت ههنا مكان حمار يجيء به قصار إلى مرج قريب منا... فأنا أرجو أن أتيك به: ثم أنت أعلم بأذنيه وقلبه".[6]

3- **ما بدا أنه سد للحاجة**: (خروج ابن آوى لصيد الحمار).

1- ينظر سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص70.

2- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص78.

3- المرجع نفسه، ص29.

4- عبد الله ابن المقفع، كليلة ودمنة، تحقيق عبد الوهاب عزام، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، دار الشروق، 1973، ص192.

5- المصدر نفسه، ص194.

6- المصدر نفسه، ص194.

المشهد الثالث: لقاء ابن آوى بالحمار واللجوء للمكر والحيلة بغية إقناعه بضرورة الذهاب معه، يبدأ المشهد: "فذهب ابن آوى إلى الحمار، فقال له: ما هذا الذي أرى بك؟ الدبر الذي بظهرك؟...فتوجها جميعا قبل الأسد، وتقدم ابن آوى إلى الأسد فأعلمه".[1]

المقطع الثاني:

المشهد الأول: تهور الأسد ووثوبه على الحمار وإفلات الأخير منه، يبدأ: "فوثب الأسد على الحمار من خلفه فلم يضبطه، وانفلت الحمار".[2]

المشهد الثاني: خروج ابن آوى مجددا وراء الحمار واللجوء إلى الحيلة مجددا.

المشهد الثالث: وقوع الحمار في الفخ مجددا.

المقطع الثالث: يجسد الوضعية النهائية، الحمار فريسة لابن آوى وللأسد.

سنحاول فيما يلي القيام بتحليل هذه المقاطع والمشاهد تحليلا سيميائيا سرديا.

أولا: المكون السردي:

تحمل القصة حبكة تشكل ذروة الصراع في علاقات الشخوص، حيث تبدأ قصتنا بـ:

شكل 1: مراحل القصة المختارة

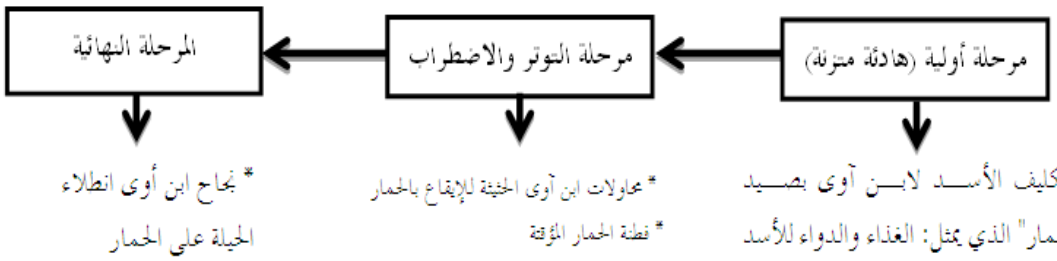

المصدر: من إعداد الباحثين

تمثل الحالة النهائية مرحلة العودة إلى الاتزان وذلك بالوصول إلى موضوع القيمة (Objet de valeur) الحمار.

تصنف الوظائف حسب **غريماس** وفق ثلاثة اختبارات يمر بها البطل لإنجاز المهمة:[3]

- الاختبار التأهيلي Épreuve qualifiante.
- الاختبار الرئيسي Épreuve principale.
- الاختبار التمجيدي Épreuve glorifiante.

يكتسب الفاعل في المهمة التأهيلية الكفاءة التي تقوده إلى تطويق الصراع وتحقيق الموضوع وسد النقص، ليصل إلى المهمة المتجيدية التي يتم فيها تقويم مسار البطل.[4]

1- المصدر نفسه، ص194.

2- المصدر نفسه، ص194.

3- L.C..Coquet, Sémiotique, Paris, L'école de paris, Hachette université, 1982, P36.

4- ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص35.

تتابعت هذه الاختبارات في قصة "الأسد، ابن آوى والحمار" على المستوى النظمي فكان:

الامتحان التأهيلي: تكليف الأسد لابن آوى بصيد الحمار والظفر بقلبه وأذنيه.

الامتحان الرئيسي: مكانه الغابة وزمانه ذلك اللقاء الذي تم بين ابن آوى والحمار ف ⟵ م وتمثل هذا الامتحان في محاولة الذات الفاعلة (ابن آوى) الإيقاع بموضوع القيمة (الحمار) وسعيه الحثيث لإقناعه بضرورة ترك حياة حمل الأثقال والتعب والهوان ممنيا إياه بحياة أفضل وغد أسعد وأجمل!

الامتحان التمجيدي: يتمثل في نجاح "ابن آوى" في حيلته وإنجازه لمهمته، باعتباره الفاعل المنفذ.

نظام النموذج العاملي

إن هذا النموذج بكل علاقاته وبنمط اشتغاله، وبالمحاور التي يستند إليها في عملية تكونه يشكل جذرا؛ أي تصنيفا مقولبا لمجموعة من الأدوار التي نصادفها في كل الحكايات بشكل كلي أو جزئي.[1]

يتم وفق هذا النموذج التحولات والتغيرات وهو ما يمنح القصة ديناميكية، كما يستمد هذا النموذج فاعليته من خلال محاور ثلاثة: الرغبة، التواصل، الصراع.

– الترسيمة العاملية:

شكل 2: الترسيمة العاملية للقصة المختارة

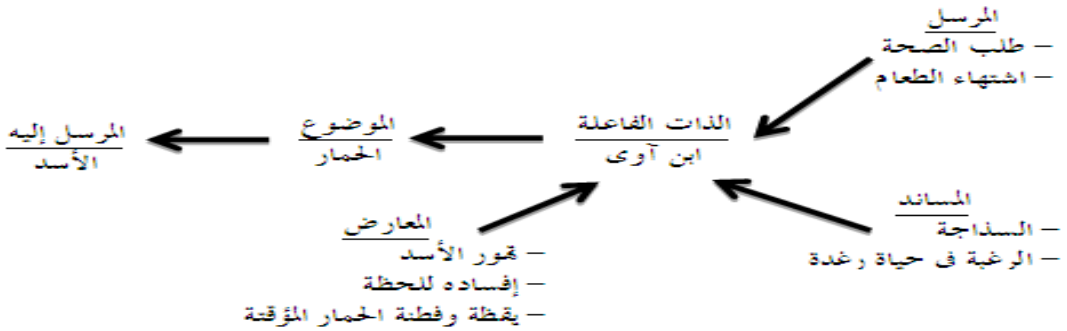

المصدر: من إعداد الباحثين

تتكون الترسيمة العاملية من ثلاث مزدوجات متباينة من حيث الطبيعة والدور العاملي الذي تقوم به:

المزدوجة الأولى (الفاعل–الموضوع) (Sujet/Objet):

تستقر العلاقة بينهما في وضع غائي (Téléologique) موافق "لعمل القدرة على فعل الفاعل في امتلاك الموضوع المرغوب فيه، الذي يصادف تحقيقه عن طريق التحري كلما تعذر الوصول إليه".[2]

1– ينظر سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص45.

2- A.J Greimas, Sémantique structural, Paris, Larousse, 1966, P180.

وتظل العلاقة بين الفاعل والموضوع علاقة استتباعية. نرمز للفاعل (ف)، ولموضوع القيمة بالرمز (م)

ف ← م

(ابن آوى) (الحمار)

(فUم) ← (ف ∩ م) عبر محور الرغبة

تحويل وصلي

يسعى "ابن آوى" لامتلاك موضوع القيمة.

نحن أمام ثلاثة قوانين تنظم عالم القصة، وهي:

الفرضية: أي عنصر الرغبة المراد تجسيده (الحصول على الحمار الذي يعد بمثابة الدواء بالنسبة للأسد والقوت بالنسبة لابن آوى).

التحيين: ويتمثل في طريقة التجسيد (الاحتيال على الحمار وإغراءه بالعيش الرغيد والحياة الخالية من الأعباء، حياة المتعة (الأتان الجميلة).

الغائية: وهي النتيجة التي تؤول إليها الفرضية (تحقق الرغبة).

يمكننا الإيجاز بالمخطط الآتي:

شكل 3: القوانين المنظمة للقصة المختارة

المصدر: من إعداد الباحثين

تبقى وضعية اللاتوازن قائمة ما لم تستطع "الذات" تحويل الحالة البدئية إلى حالة نقيضة، ومن ثم إبراز القيمة الاعتبارية لفعل "التحيين". فنحن أمام علاقة فصلية بين "الذات و"الموضوع" ولتحقيق هذه الرغبة يستلزم خلق علاقة وصلية وتوفير كفاءة مزدوجة: الانفصال عن سيطرة "الأسد" الذي احتل خانة الإيعاز والاتصال بموضوع القيمة.

يحيل الوضع البدئي على فصل مزدوج: (الحمار Uابن آوى U الطعام)

لذلك يجب القيام بتحويل اتصالي: Transformation conjonctive ينتقل من حالة انفصال (U) إلى حالة اتصال (∩) الفاعل بموضوع القيمة:

(فUم) ← **(ف ∩ م)**

يمر البرنامج السردي أو ما يطلق عنه (الخطاطة السردية) عبر أربع مراحل هي:[1]

– التحريك Manipulation: هو عملية ضرورية للانتقال من حالة إلى حالة، فهو صيغة فعل الفعل (faire-faire)؛ أي الدفع بالذات إلى القيام بفعل ما أو الاقتناع به، فيكون الفعل في هذه المرحلة إقناعي يقوم به المرسل نحو الذات التي تضطلع بالفعل.

– الكفاءة Compilation: هي شرط ضروري؛ إذ لابد أن تتوفر الذات الفاعلة على الكفاءة اللازمة والضرورية لتحقيق الفعل وامتلاك الموضوع.

– الأداء/الإنجاز Performance: هو مرحلة اتصال الفاعل بموضوع القيمة، فإذا كان التحريك يحيل على فعل الفعل (faire-faire) وتحيل الأهلية على كينونة الفعل (être de faire)، فإن الإنجاز يحدد فعل الكينونة (faire être)، ويمكن اعتبار الإنجاز النقطة النهائية التي يتم عبرها تقييم الأداء المتحقق في فعل نهائي.

– التقويم Sanction: الحكم على الأفعال التي يتم إنجازها، ويعد المرسل باعتباره الحلقة الربطة بين البدء والنهاية؛ أي بين التحريك والجزاء الأداة التي يتم عبرها تقييم الإنجاز المتحقق في الفعل النهائي.

تشكل هذه المراحل المقطوعة السردية "La Séquence narrative" التي تعرف بأنها: «تتابع منطقي للأنوية المتحدة فيما بينها بعلاقة تضامن تفتتح المقطوعة لما لا يكون لإحدى مفرداتها سابقة متينة لها وتختتم لما لا يكون لمفردات أخرى لاحقة لها».[2]

يتحدد التحريك باعتبار "فعل الفعل" أي أن المرسل هو المحرك والمحفز، وفي قصتنا لعب هذا الدور العاملي "الأسد" حيث حفز "ابن آوى" باعتباره "الفاعل المنفذ" وحركه باتجاه إنجاز فعل "الإيقاع" بالحمار، وقد نتج عن هذا التحريك تمكين الذات المنجزة (ابن آوى) من كفاءة كفلت لها القيام بدورها المتمثل في "وصل" "الأسد" بموضوع القيمة "الحمار"، وقد مارس المحرك فعلا موسوما بالمعرفة أي فعلا إقناعيا.

وحديثنا عن التحريك هو في الحقيقة تمهيد للحديث عن المزدوجة الثانية.

المزدوجة الثانية (المرسل–المرسل إليه) (Destinateur et destinataire):

قام المرسل بإصدار الأوامر في وضعه الأولي ولعب دور المحرك (D.Manipulateur) وفي وضعه النهائي يعمل كمقوم (D. Judicateur).

لقد ساهم تنقل الذات الفاعلة ($ف_1$) في قلب الوضعية وإحداث التحول، بعد حالة الانفصال عن موضوع القيمة (الحمار) ($ف \cup م$) يتمكن ($ف_1$) عن طريق الحيلة التي تندرج ضمن (معرفة الفعل) بالإيقاع "بالحمار" وتحقيق الوصلة مع الموضوع ($ف_1 \cap م$) ليتأهل كفاعل يوقع بالحمار فلقاء "ابن آوى" بالحمار داخل الغابة.

وإقناعه بالتخلص من حياة الذل والهوان، حياة التعب ورفع الأثقال يعد مرحلة حاسمة في البرنامج السردي. وباقتناع "الحمار" وانطلاء الحيلة عليه، يتحقق الفاعل كفاعل منجز. إذ تجاوز مرحلة الأداء بنجاح لتتسم الذات الفاعلة بالطاعة النشيطة والتي نلخصها في:

1– ينظر سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص ص 56، 59، 65، 66.

2- R. Barthe, Introduction à l'analyse structurale des récits, Paris: Edition du Seuil., 1977, P19.

إرادة الفعل + وجوب الفعل + معرفة الفعل + القدرة على الفعل

⬇

طاعة نشيطة للفاعل

⬇

غيرت الوضعيات

حتى نسهل الفهم على القارئ أكثر، نختصر ما سبق في شكل مخطط:

شكل 4: مراحل وحيثيات البرنامج السردي في القصة

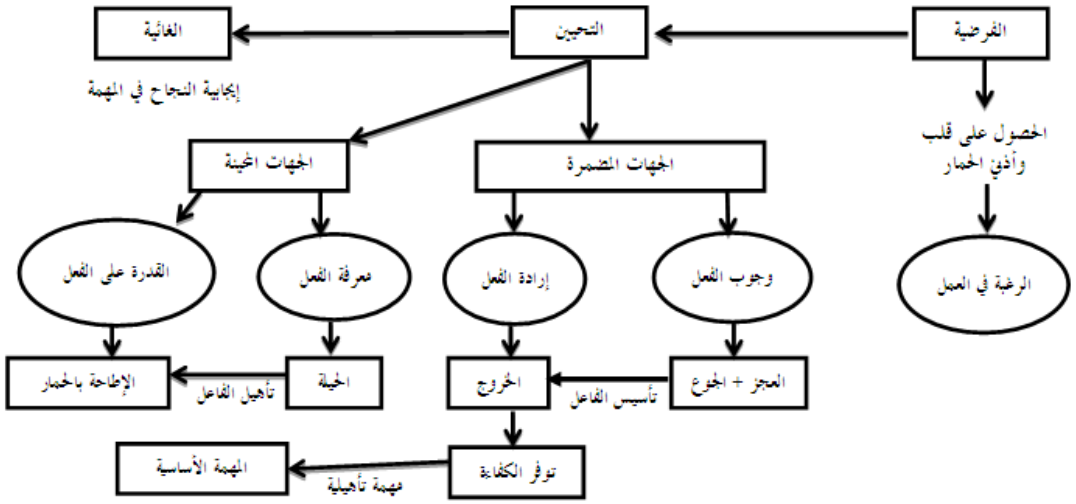

المصدر: من إعداد الباحثين

المصداقية بين الظاهر والكينونة:

توجد أربع صور للمصداقية:

1- (ظاهر + باطن) ⟵ صدق

2- (لا ظاهر + لا باطن) ⟵ بطلان

3- (لا ظاهر + باطن) ⟵ سر

4- (ظاهر + لا باطن) ⟵ كذب

قدمت القصة صورتين:

الصورة الأولى: الصدق (ظاهر + باطن) ⟵ صدق ويتجلى في:

* صدق الأسد في مرضه وعجزه.

* صدقه في إسناد المهمة لابن آوى.

* صدق ابن آوى في إنجازه للمهمة.

الصورة الثانية: الكذب (ظاهر + لا باطن) ⟵ كذب ويتجلى في:

* علاقة ابن آوى مع الحمار، حيث احتال عليه واظهر له الود والنصيحة وأبطن المكر والخداع.
* علاقة ابن آوى مع الأسد في آخر القصة، حيث أظهر له الولاء وأبطن الخيانة والغدر حيث ظفر هو بقلب وأذني الحمار تاركا البقية للأسد.

المزدوجة الثالثة (المساند/المعارض) (Adjuvant et opposant):

حتى يتمكن الفاعل من الوصول إلى الموضوع، لابد من قوة تسعفه في ذلك وتسانده، ويلعب "المساعد" هذا الدور فيما يلعب "المعارض" الدور الضديد المعرقل للفاعل ومسعاه.

في قصتنا لعبت القيم المجردة دورا مساعدا، وتمثلت في غباء وسذاجة الحمار من جهة وطمعه في حياة رغدة هانئة من جهة أخرى، كما تدخلت عوامل ضديدة حالت دون تحقيق الغائية وحاولت إفشال خطة البطل سواء عن قصد أو دونه، كما فعل الأسد بتهوره وسرعة هجومه ووثوبه على موضوع القيمة "الحمار" الذي تمكّن في بداية الأمر من الفرار مما صعب المهمة أمام "الذات الفاعلة" (ابن آوى)، الذي اضطر لملاحقته مجددا واللجوء إلى حيلة جديدة للظفر به ثانية، ما أحدث انقلابا في خط سير الحكاية والبرنامج السردي معا، كونه إساءة معقدة تسهم في عرقلة مسعى "الذات"، مما أدى إلى مقطوعة حكانية جديدة لكن بنفس الذوات والموضوعات.

نختم دراستنا لهذا المستوى (المكون السردي) بجدول نوضح فيه كيفية انتشار العوامل واشتغالها.

جدول 1: انتشار العوامل واشتغالها

الممثل	الدور العاملي	مشخص	مسيء	مجرد	فردي	جماعي	تيمي
الأسد	مرسل إليه	+			+		
ابن آوى	ذات الفاعلة	+			+		
العجز والجوع	مرسل			+			+
الحمار	موضوع القيمة	+			+		+
السذاجة والغباء	مساند			+			+
التهور	معارض			+			+

المصدر: من إعداد الباحثين

ثانيا: المكون الخطابي: La composante discursive

يتم التطرق عبر هذا المكون إلى الصور، ونعني تلك الوحدات المتعلقة بالمحتوى والتي تخدم الوصف وتأخذ على عاتقها المسارات الصورية المحققة والتجمعات الخطابية المجردة، وهي تعبر عن موضوعات (Thèmes) معينة ومقصودة.

يسهم هذا المكون في إعطاء شكل محدد لانتشار الوضعيات والأحداث والحالات والتحولات في الخطاب.

إذا عدنا إلى البرامج السردية التي شكلت القصة موضوع الدراسة، فإننا نجدها مغطاة بشبكة صورية شكلت مسارات صورية Les parcours figuratif، إذ يقوم "ابن آوى" بالفعل ويتمثل دوره العاملي في كونه "فاعلا ذاتا" ودوره الغرضي في كونه "مخادعا ومحتالا

وانتهازيا"، ويقوم "الأسد" بدور عاملي متمثلا في كونه "مرسلا إليه"، أما "الحمار" فدوره العاملي يتمثل في كونه "موضوع القيمة" ودوره الغرضي في كونه "مغفلا وساذجا وضحية".

التجمع الخطابي: Les configurations discursives

ويمكن لنا أن نمثل له بالترسيمة الآتية:

شكل 5: التجمع الخطابي

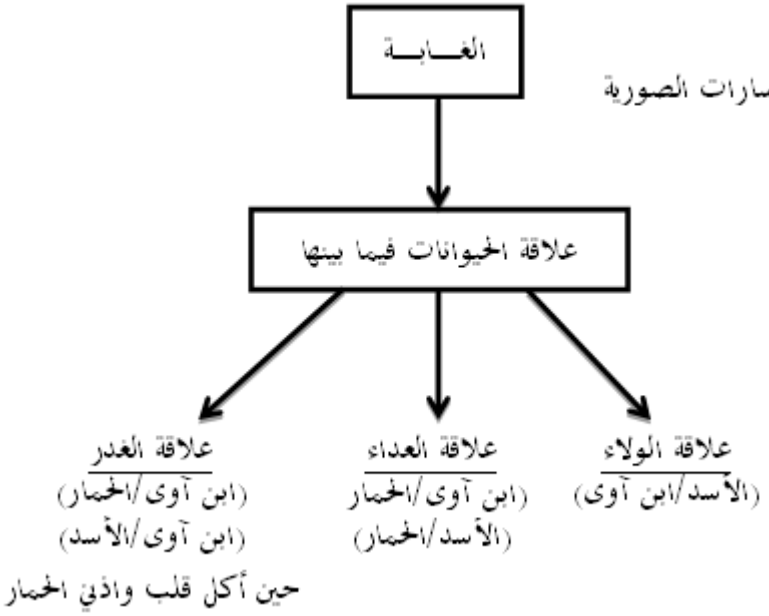

المصدر: من إعداد الباحثين

تخرج هذه الصور من مجال المفردات المعجمية لتتلاحم فيما بينها وتؤلف شبكة صورية ممتدة على مقاطع كاملة مكونة «التجمعات الخطابية». تعبر المسارات الصورية والتجمعات الخطابية عن موضوعات معينة نجملها في الآتي:

شكل 6: الأدوار الموضوعاتية

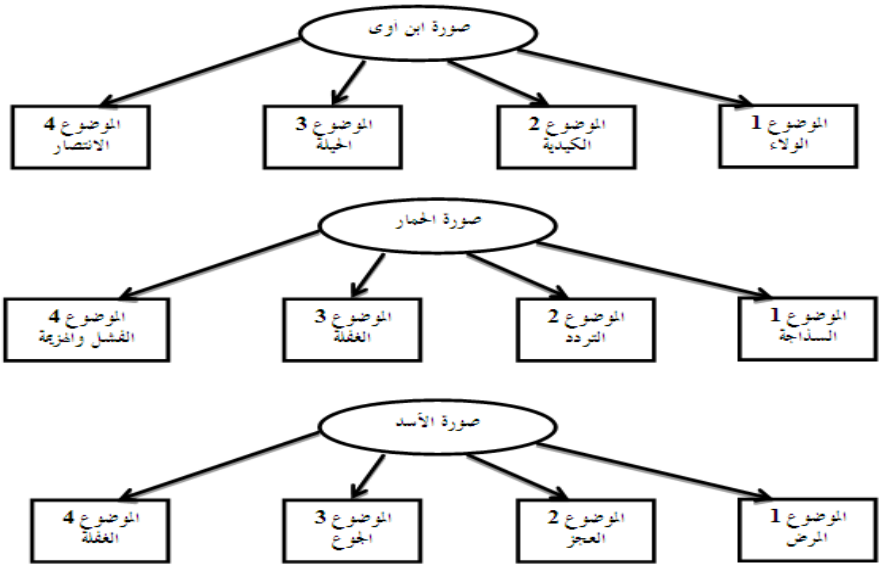

المصدر: من إعداد الباحثين

تكمن أهمية "الدور الموضوعاتي" في كونه يثري النص، ويجعله منفتحا لتعدد القراءات والتأويلات.

بهذا نختم دراستنا للبنية السطحية في مكونيها السردي والخطابي، والتي حللنا فيها المستوى الظاهر، الذي يتسم به بناء النص الخارجي، موضحين العناصر والوحدات المشيدة لبنائه والمنتظمة في شكل علاقات متواشجة.

غير أن هذه الدراسة يجب أن تكمل البحث في دلالات تلك العلاقات وهذا ما سنحاول معاينته وكشفه من خلال دراستنا للبنية العميقة.

ثانيا: البنية العميقة La structure profonde

إن تفاعل السيميمات ينتج عنه ملفوظات دلالية،[1] ويعرف "السيم" بأنه وحدات معنوية صغرى، حيث أن «الوحدة الأساسية للدلالة هي السيم أصغر عنصر معنوي لها، الذي لا يمكن ظهوره إلا إذا ارتبط في علاقة بعنصر آخر مغاير، له وظيفة خلافية وعليه لا يمكن إدارته إلا في إطار مجموعة عضوية في إطار بنية..."."[2] ويتم عبر البنية العميقة التحكم في الدورة الدلالية على اعتبار أن التحليل السيميائي يوفر إجراءات تساعد على وصف أنظمة الدلالة.[3]

والوحدة المعنوية الأساسية في قصة "الأسد، ابن آوى والحمار، هي "كيفية الظفر بالحمار" وهي وحدة تسيطر على النص من خلال الثنائيات الآتية:

أ- ثنائية (الحركة/الجمود): تتمثل في تنقل البطل (ابن آوى).

ب- ثنائية (الاحتيال/الأمانة): حيلة ابن آوى ومكره.

ج- ثنائية (الفائدة/الخسارة): انطلاء الحيلة والإيقاع بالحمار.

وكل صنف من هذه الأصناف يحتوي على أصناف دلالية دنيا تولد مع بعضها البعض وحدات دلالية ثانوية.

نقوم بتفكيك المفردتين المعجميتين "الأمانة" و"الحيلة" إلى وحدات سيمية رئيسية، إذ نتفق في البداية أنهما نتيجة لعمل حاصل بعد عناء وجهد يحيلان على حقيقة وجب إثباتها، إلا أن السيم الذي يفرق بينهما نجده في الصورة الأولى للأمانة محققا في "الارتياح" و"الطمأنينة" ولذة الشعور بهما، وهي في الواقع تشكّل قيمة إيجابية، بينما نجد الاختلاف في الصورة الثانية "الحيلة" كامن في "الانتهازية" و"الخبث" والمتضمنين شعور المكر والخداع وتتميز هذه الصورة بالقيمة السلبية.

باختصار إن "انتهازية" البطل تحقق وحدة دلالية مقابل "الأمانة" وتغطي جزئيا الوحدة المعنوية الأساسية في النص، فالمادة "انتهز" تعني استغلال الفرصة بكل الوسائل والطرق وعدم تضييعها مهما كان الثمن، مع تحقيق أكبر قدر من الفائدة ولا تتحقق الانتهازية إلا بالحيلة والكيدية.

نصل إلى حزمة من السيمات الدلالية المميزة لكل من الذات (ابن آوى) والموضوع (الحمار).

1- A.J Greimas, Du sens, Essais sémiotiques, Paris, le seuil, 1970, P40

2- J. Courtès, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Paris, l'école de paris, Hachette université, 1976, PP45-46.

3- J.C.Coquet, Sémiotique, Paris, l'école de Paris, Hachette université, 1982, P36.

تدخل هذه الحزمة من السيمات ضمن ما يسمى بالتعارض الدلالي:

جدول 2: التعارض الدلالي

ابن آوى	←	**الحمار**
- واثق من نفسه	←	- مرتبك
- مسيطر	←	- خاضع
- ذكي	←	- غبي
- محتال	←	- ساذج
- مخادع	←	- مغفل
- كاذب	←	- صادق
- مدرك	←	- جاهل
- ناجح	←	- فاشل
↓		↓
مجموع الصور يعطينا الصورة الكبرى "ابن آوى" وهي (الانتهازي		**مجموع الصور يعطينا الصورة الكبرى "للحمار" وهي (الضحية الساذجة)**

المصدر: من إعداد الباحثين

رسم المعنى عبر المربع السيميائي:

إن المربع السيميائي عبارة عن «صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات التناقض والتقابل والتلازم، فهو نموذج توليدي ينظم الدلالة ويكشف عن آلية إنتاجها عبر ما يسمى بالتركيب الأساسي للمعنى، فهو أداة منهجية تسمح برصد انبثاق المعنى منذ حالاته الأولية أو يشبه الخام أو حتى حالاته التركيبية المختلفة أو في الدلالة التأسيسية في مختلف التجليات: الصيغة والفاعلية والوظائفية والخلافية».[1]

1- عبد الحميد بورايو، تنظيم المسار السردي في بعض حكايات ألف ليلة وليلة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، إشراف عبد الله حلي، جيجل- الجزائر، جامعة محمد الصديق بن يحي، 1995-1996، ص232.

الشكل 7: المربع السيميائي

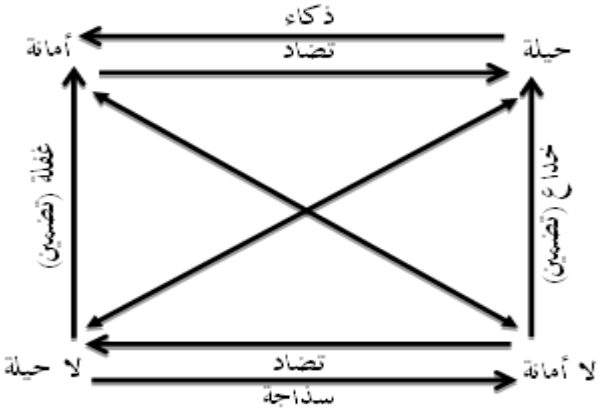

المصدر: من إعداد الباحثين

التضاد القائم بين "الحيلة" و"الأمانة" من جهة ومتضمنيها (لا أمانة/ولا حيلة) من جهة أخرى، يقابل ذلك التناقض بين الذكاء والسذاجة من جهة، والخداع والغفلة من جهة أخرى.

انطلقت القصة من:

شكل 8: التضاد والتضمين

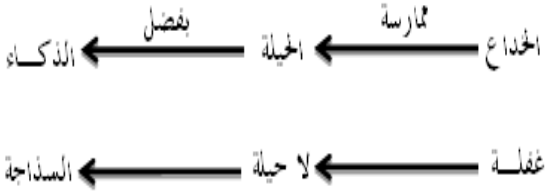

المصدر: من إعداد الباحثين

ليغلب على قصة "الأسد، ابن آوى والحمار" فكرة الكيدية والخداع، إن المربع السيميائي يوجه العلاقات المنطقية ويضبطها بين الوحدات المعنوية الصغرى مما يجعل فعاليته في عمق النص السردي يتضح من طبيعة هذه العلاقات الدلالية، أن القصة تستند على مفهوم أخلاقي يقوم على ثنائية (الأمانة/الخيانة)، وأن الطرف الأول يرتبط بالقيم الإيجابية، بينما يرتبط الطرف الثاني بالقيم السلبية، وهو المغزى الذي تريد أن تؤكده الرسالة المتوارية بين سطور هذه القصة، فالحيلة والمكر يسيران جنبا إلى جنب مع الأمانة والطيبة الزائدة التي تدخل في دائرة السذاجة.

خاتمة:

يمكننا القول أن المنهج السيميائي بما أتاحه لنا من إجراءات وأدوات مكننا من سبر أغوار نص تراثي ثري، محمل بشحنات دلالية عميقة حاولنا قدر الإمكان استنطاقها و الوقوف على كيفية اشتغال المعنى فيها.

المصادر والمراجع

أولا– المصادر

1– عبد الله ابن المقفع، كليلة ودمنة، تحقيق عبد الوهاب عزام، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، دار الشروق، 1973.

ثانيا– المراجع العربية

2– رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، الجزائر، دار القصبة للنشر، د ط، 2000.

3– سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 1994.

4–سعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي –دراسة سيميائية "غدا يوم جديد لبن هدوقة"، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2000.

ثالثا– المراجع المترجمة

5– جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميانية الخطابية، تر: جمال الحضري، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2007.

6– رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: خليل أحمد خليل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.

رابعا– المراجع الأجنبية

7- A.J Greimas, Du sens, Essais sémiotiques, Paris, le seuil, 1970, P40

8- A.J Greimas, Sémantique structural, Paris, Larousse, 1966, P180.

9- J. Courtès, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Paris, l'école de paris, Hachette université, 1976, PP45-46.

10- J.C.Coquet, Sémiotique, Paris, l'école de Paris, Hachette université, 1982, P36.

11- L.C..Coquet, Sémiotique, Paris, L'école de paris, Hachette université, 1982, P36.

12- R. Barthe, Introduction à l'analyse structurale des récits, Paris: Edition du Seuil., 1977, P19.

خامسا– الأطروحات.

13– عبد الحميد بورايو، تنظيم المسار السردي في بعض حكايات ألف ليلة وليلة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، إشراف عبد الله حلي، جيجل– الجزائر، جامعة محمد الصديق بن يحي، 1995–1996.